

شمال الورد

وشخصيته الانسانية

- « أمم : في شمائل رسول الله محمد »
- « العلماء والزعماء والشباب الفضل »
- « العمل لشخصية (السوبرمان) وليس »
- « في معادل الغرب يمكن أن يوجد »
- « النموذج . »

أنور الجندى

الرسول

تاريخ وحياة

حياة رسول الله ﷺ وتاريخه ، كل ، لا يتجزأ ، فإذا حاولنا أن نفصل القول ، في هذه الحياة الضخمة ، بالحديث عن أجزائها منفصلة ، فإنما نجعل من ذلك وسيلة إلى تفهم المرامي السكرية والاهداف العالية التي تملأ هذه الحياة وذلك التاريخ .

وقد رأيت أن أعرض لدراسة شخصية رسول الله وتاريخه على الوجه التالي :

- (١) تاريخ الرسول (عرض عام) - ابريل
 - (٢) شمائل الرسول وشخصيته الانسانية - مايو
 - (٣) القيادة في حياة الرسول - يونيه
 - (٤) الجندية والاتباع - يوليه
 - (٥) المنافقين والخصوم - أغسطس
 - (٦) غزوات الرسول - سبتمبر
 - (٧) مدرسة الارقم والكتيبة الاولى - اكتوبر
 - (٨) مهمة الرسول وتبعات الدعوة - نوفمبر
 - (٩) هدى النبوة وحديث الرسول وبيانه - ديسمبر
- وهذا هو البحث الثاني بين يدي القراء الثمن ٣٠ مليم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سيرة رسول الله ﷺ . محبيه كل نفس ، فمى غذاء شمسى
للارواح المؤمنة ، وشراب سلسبيل للنفوس الطاهرة . وحديث
المصطفى الحبيب ، يملأ جوارح النفوس بالاكبار والاعزاز ،
وذكره يهن أعماق القلوب بالاشواق الربانية ، وتاريخه يفتح
أمام الأرواح بشار الخير والهدى والنور .

وهو ، صلوات الله عليه ، حبيب إلى النفوس جميعا ، حبيب
إلى قلوب المسلمين حبا تغلب فيه العاطفة على العقل ، نفوس
العرب باعتباره سيد العرب وفخر تاريخهم ، وتاج مجدهم ، وهو
حبيب كذلك إلى نفوس الكثير من الفرنجة المعجبين بآثاره وخلاله
وسجاياه وشماله . وبطولاته وأعماله .

وقد بلغ المسلمون فى مختلف عصورهم فى الحديث عنه إلى
ذروة القول . قالوا فيه الشعر حتى دخر تراث الادب العربى
بالآلاف المؤلفة من أبيات القصيد الجياد ، وقصوا فيه القصص
حتى انهم لم يتركوا فضيلة من فضائله الانسانية لم يتناولوها بالشرح

والإفاضة ، بل انهم تجاوزوا العقل في كثير من الاحيان إلى الخيال والمبالغة باللفظ والعبارة ، والقصة والرواية ، في غير ما حاجة إلى تزيد أو ابتكار أو إضافة خيال ، إلى ذلك التاريخ السامق الذرى ، الرفيع الامجاد ، الذى لا يدانيه تاريخ إنسان من قبل أو من بعد .

وتنافس كتاب العربية وبلغاء العصور ، وفصحاء الاقطار على كتابه تاريخه صلى الله عليه وسلم باعتباره اسماً مانحاً للاقلام ، وأرفع ما يتقرب به إلى الله .

وأشد المنشدون في مولده المدامح الطوال العراض ، بما هو ثابت في سنته ، صحيح في تاريخه ، فضلاً عما (وضع) من قبيل التمجيد لخاتم النبيين وأمام المرسلين .

واضيفت إلى سيرته صلى الله عليه وسلم الكثير من الاسرائليات والخيالات والالوهام بما لا ينقص من قدره اغفالها وشط بعض المؤرخين عن غير قصد وحسن نية إلى المبالغة في قدر الصلة بين الرسول والسماء ، حتى كادوا أن يقضوا على شخصيته صلى الله عليه وسلم الانسانية ، فنسبوا كل تصرف منه إلى الوحي

وبذلك اغفلوا جانبه الانساني الضخم ، وفي ذلك ما فيه من تجاهل للطبيعة الانسانية الكريمة ، المكلفة العاقلة المتصرفه في رسول الله الحبيب .

• • •

وهكذا لقيت سيرة الرسول واقى تاريخه الكثير من العوامل التي بلغت بها حد المبالغة والنهويل ، أو الخلط والتقصير ، تحت ضغط الظروف والاحوال .

ولاشك ان ذلك كله لم يكن مقصودا به إلا الخير في تقدير هؤلاء الكتاب ، ولم يكن القصد من هذه الاستزادة إلا اتباع عاطفة الحب ورفعها فوق حكمة العقل .

واننا والله لنحب رسول الله ﷺ أكثر مما نحب أهلونا وانفسنا ، وانا لنطالع سيرته فتملىء نفوسنا بالاشواق العالية والتوجيهات الرفيعة والمثل الفاضلة ، وكم كنا نحب أن نستطرد في تصوير تلك الاشواق ، أو ابراز هذه العاطفة ، لولا اننا نريد أن نحولها بالتسامي إلى منافع عمالية نلتمسها من سيرته ونطبقها في محيط دعوتنا ، التي هي امتداد لدعوة رسول الله .

نريد ان نكتب سيرة رسول الله على وجه اخر ، فيه عاطفة
وفيه عقل وفيه حب وفيه توجيه ، نلتمس منه العبرة والعظة ،
ونبحث في اطوائه العميقة الواسعة عن المثل والمنهاج والهدى
فنبرزه لانفسنا ولاخواننا ، لنجعل منه سلاحنا في الخطوب ،
وعدتنا في هذه المفاوز وذخيرتنا في ميدان الجهاد القريب .
وان يجد المسلمون عدة ولاسلاحا ولا ذخيرة قبل ان
يتأملوا ويطيلوا التأمل في سيرة رسول الله ، وقبل أن يدرسوا
ويطيلوا النظر في تاريخ خاتم الانبياء .

شمائل الرسول

كأنه وهو فرد في جلالاته في عسكر حين تلقاه وفي حشم تكاملت الشخصية الانسانية في شمائل رسول الله أوفى ما تتكامل في إنسان . وبرزت فيه (الرجولة) التي تقسم بالزهد والتواضع وبالشجاعة والوفاء . وعرف بالربانية المؤمنة ، فكان (عابدا) يقف بين يدي مولاه حتى تتورم قدماه وكان (اجتماعيا) شارك الناس في جدهم ومراثيمهم وضرائعهم وأحبيهم وسهر عليهم أخوة وأتباعا ، وأزواجاً وأبناء ، في إيثار ووفاء

وعرف (بالزعامة) فكان مصلحا جمع إلى ضبط النفس قوة التأثير وكان فعلا أكثر منه قولا ، لم يستغفل في مكيدة ولم ينم عن مهمته لحظة من ليل أو نهار . واتسم (بالسياسة) فكان مثالا للذكياسة والدهاء دون تكبر أو طغيان . فعقد المعاهدات وبعث البعث وكان (قائدا) عرف بالبطولة الحربية والشجاعة فقاتل بيده ، وكان إذا اشتد البأس أقرب الناس إلى العدو

ووصل في ذلك إلى ذروة البلاغة في القول فكان (محدثا)
بارعا فصيح اللسان واضح البيان . يقول أوضح القول في
أوجز عبارة :

وهذه الشئان جميعا كان المثل الكامل للشخصية الانسانية
الفردية وكان المثل الأعلى للزعامة والقيادة وفي سيرته وشئانه يجد
الزعماء ويجد الرحاى والأدباء والمخاربون والساسة والمحدثون
والاجتماعيون خلاصة الدراسات التجريبية للانسان الكامل
(السوبرمان) .

الرجولة

الحديث عن (الرجولة) هو خير ما يقدم في هذه الأيام
التي تمتحن فيها الرجولة في الشرق الاسلامى ، وهى مزية من
مزايا الطابع الانسانى عمل الاسلام على تأكيدها فبرزت بأوفى
صورها وأجلاها في رسول الله فكانت حصنا منيعا من
حصون الاسلام .

نشكلم عن (الرجولة) في رسول الله ﷺ ونعنى بها ذلك
الطابع الانسانى الذى يبرز في تصرفاته الطبيعية فيما يتصل به من

أمر - معاشه وبيته وطعامه وسيره ونومه ، وفي حالة الرضى والغضب بموتقدير من حوله كذلك وهي تصرفات تنظمها الرحمة والشجاعة والزهد والتواضع والوفاء والبساطة .
ولا أعنى بالرجولة إلا تلك الصلة السميكة السمجة المضمنة بين رسول الله ، وبين من يتصل به من معارف وخدم وأبناء وأزواج .

وليست الرجولة هنا هي الجفاف والكبرياء والاستعلاء على من يتصلون بسبب إلى الإنسان أو الزعيم ، وليست هي الجبن والاستخذاء والضعف ، وليست هي التهاون في أمر من الأمور جليلها أو كبيرها ، وإنما هي ذلك الميزان الصادق الذي لا ترجح إحدى كفتيه إلا بمقدار : تلك هي (الرجولة المؤمنة) التي تشدها الشخصية الإنسانية لتصل بها إلى المثل الأعلى ، ولن تجدها إلا في رسول الله ﷺ

(١) اتسم الرسول بالزهد في الدنيا ، واكتفاءه بالقليل وامتناعه عن زهد الضعفاء أو زهد العجز والقصور ، وإنما زهد المالك فيها يملك ابتغاء مرضاة الله وقد أثر عنه قوله : مالي

وللدنيا ، إنما أنا والدنيا كراكب استظل بظل شجرة ثم مضى وتركها . وفي هذه العبارة البليغة الموجزة تصوير بارع لمقام هذه الحياة الدنيا بين عالم الفناء قبلها وعالم الخلود بعد الموت .

ولقد أثر عنه صلى الله عليه وسلم أنه خرج من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير ، وكان يرضى بالكفاف في المأكل والغليظ في الملبس وينام على وسادة آدم حشوها ليف ، بحسبه بضع لقيحات يقمن أوده ، وأحياناً كان يبیت طاوياً ، وكثيراً ما قضى وأهله الأيام ليس لهم طعام إلا الخبز والماء .

قالت عائشة لعروة : يا ابن أختي اننا كننا ننظر الهلال ثم الهلال ، ثلاثة أهلة في شهرين ما أوقدت في بيت رسول الله نار فقال يا خالة ما كان عيشكم قالت الأسودان التمر والماء .

وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكل أكلتين في يوم واحد إلا كانت أحدهما تمراً ، وما شبع من خبز الشعير يومين متتالين وكان مع كل ذلك يعظم النعمة وأن دقت ولا يذم شيئاً .

ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد هذه هي الزعامة الفقيرة والقيادة التي لا تقيم سلطانها

وصولجانها على دعائم واهية من المظاهر البراقة ولا تقيم
مآدبها وولائمها على ألوان الأطعمة المختلفة

وحياة الرسول لم تكن في الواقع حياة فردية ، وإنما هي
حياة توجيهية تقضى بالامر على وجه من وجوهه ، لأنها تريد
أن تكون وضعا من أوضاع الكيان الانساني الشخصي في
الجماعة الاسلامية .

ولذلك عرف في عباراته ﷺ روح التوجيه والتنفيذ ؛
ولم يكن هذا الفقر أو هذا (القصد) في أمر المطعم والملبس
وفراش النوم إلا رغبة في اقرار طبيعة خشنة صامدة ، لا يزعمها
نقص أمور المطعم والمشرب والملبس في ظرف من الظروف ،
وكان إلى هذا القصد بمنزلة بالجود وسخاء بما لم يعرف مثله في
زعيم أرقائد أو مصلح اجتماعي أضف إلى ذلك روح المحاسبة والتقدير
التي تبرز عند استقبال مطعم شهني

دخل رسول الله ﷺ المسجد فوجد أبا بكر وعمر
فقال ما أخرجكما قالا : الجوع ، فقال رسول الله وأنا أخرجني
الجوع ، فذهبا إلى أبي الهيثم التيماني الانصاري فقام فذبح لهم

شاة واستعذب لهم ماء ، ثم أتى بذلك الطعام والماء فأكلوا
منه وشربوا

فقال رسول الله : لتستأن عن نعيم هذا اليوم
هذا أمر رسول الله وصحبه ، وما كان ذلك ليمنع من أن يرد
سبايا هوارن وكانوا ستة آلاف

ومن هذا ترى : الفقر والمسغبة ، فإذا جاء الطعام ذكر
رسول الله حساب الله عن هذا النعيم ، ثم ذلك السخاء الذي
يبرز في رد ستة آلاف من السبايا ، والواقع أنه لا تعارض بين
هذا وذاك فالطعام والشراب أمران يتعلقان بالمرء ولا يحب رسول
الله أن يكونا هدفين يقصدان لذاتهما ، وإنما هما وسيلتان
لاستمرار الحياة في سبيل الغاية العليا ، أما رد السبايا فهو اقرار
لوضع من أوضاع الدعوة وتأليف لقوم من الأقوام الذين
جاءوا مسلمين .

وكان طعامه صلى الله عليه وسلم ليلة عرسه من أم سلمة لا يزيد عن شيء من الشعير
أخذته أم سلمة فطحنته ثم عقدته في البرمة وأخذت الكعكة فأدمته
وعن أنس رضي الله عنه ، أنه أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

طبق من رطب فجثا على ركبتيه فأخذ يناولني قبضة قبضة يرسل
بها الى نسائه ، وأخذ قبضة منها فأكلها ، وأخذ يلقى النوى بشماله
فمرت به داجنة فناولها فأكلت

ويقول رسول الله ﷺ : أخفت في الله وما يخاف أحد ،
وأوذيت في الله وما يؤذى أحد ، ولقد أنت على ثلاثون ما بين
يوم وليلة مالى وابلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه
أبط بلال .

هذا رسول الله أيها الناس وهذا أمره من الطعام والشراب ،
وهو عبرة للأغنياء المبطونين ، يرون فيه كيف كان الرسول
لا يرى فيه رأيهم فهم يعيشون ليأكلون ، وهو يأكل ليعيش
يأكل لقيمات هي شيء قليل ضئيل يواريه ابط بلال ، وهي
شعير أو تمر في أغلب الأحيان . .

ومن حديث الطعام عند رسول الله عبرة أخرى للفقراء الذين
يزعمهم أمر قصور طعامهم وشرابهم في بعض الأحيان ، فهذا
رسول الله يبيت على الطوى ويربط بطنه من الجوع ويصبح
الصباح فيسأل أهله : أعندكم شيء ، فإن قالوا لا : صام يومه . ولقد

جاءه الضيف فارسل يسأل في بيوت زوجاته التسع فلم يجد عند إحداها شيئا فوكل أمره الى أحد أصحابه ، واقد ضاقت زوجاته بهذا الوضع وطلبن النفقة فأرسل الحق تبارك وتعالى من السماء يفاصلهن المقام مع رسول الله (ان كنتم تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتكن وأسرحكن سراحا جميلا) والمتاع هنا هو متاع الطلاق

وتلك أولى دعائم الرجولة ، أن لا يكون الطعام والشراب له من الخطر ما يوجه الانسان في الحياة ، ولا يكون الطمع فيه سبيلا إلى نكران حقوق الله أو الخروج على مبادئ الحق ، أو القصور عن نضال خصوم الدعوة ولقد شهد عصرنا هذا صنوفا من الناس قتلهم الماكل والمشرب والملبس ، واستطاع الغاصب ان يستقيدهم من اعناقهم بسلاسل من الذهب باسم الطعام الدسم والمآدب الخافلة فانصرفوا عن حقهم وخاصموا أوطانهم وتنكروا لحقوق أمتهم ، وهجروا دينهم وعاشوا معلقين في ركاب أصحاب النضار ، وتلك جناية البطون ، وتلك قضية المعدة ٢ - اتسم رسول الله باليسر والبساطة في لقاء الأمور وفي

توجيهها إذا خير بين أمرين اختار أيسرهما ما لم يكن أثماً ،
يمزح ويتفكه ولا يقول إلا حقاً .

وقد برزت هذه البساطة في كل شيء ، فقد كان الرسول
يذهب إلى السوق ويحمل بضاعته ، وكان إذا تصدق وضع الصدقة
في يد السائل ، وكان يركب ويردف خلفه .

وجاءه الرجل وهو يمشى ومعه دابته فقال له أركب وتأخر
عن حمارة فقال الرسول له : أنت أحق بصدر دابتك مني إلا أن
تجعله لي فلما قال له الرجل اني جعلته لك ركب .

وايست هذه البساطة واليسر إلا مظهراً صادقاً من مظاهر
التواضع هو من أبرز صفاته ﷺ ، ولقد كان هذا المظهر عجيباً
في شخصه وهو صاحب الدعوة التي بهرت أتباعه بهذه السجابا
التي لم تعرفها الدنيا إلا في الزعامة الإسلامية المحمدية .

عرف الرسول بتلطفه مع الاطفال والصغار ، وعرف
بالصبر على الجفوة للغريب في منطقة ومسأله ، ولم يكن - تبعاً
لذلك - يواجه أحداً بما يكره ويحجب دعوة الداعي ، ويعود
المريض ، ويقبل العذر ، ويتجاوز عن المسيء وله في كل حالة من

هذه الحالات احداث تروى وليس له فيها كلام يقال . فقد كانت حياته عليه السلام حياة (تجريدية) وكانت اهدافه اهدافا توجيمية . وكان أسلوبه تنفيذيا محضاً

يعطى من منعه ، ويصل من قطعه ، ويبذل لمن حرمة ، ويغضى طرفه من الأذى وكان أجود من الريح المرسله .

قال له أحد الوافدين أنت سنداننا : قال السيد الله : قولوا قولاكم ولا تستجربنكم الشيطان

إذا قبل جلس حيث ينتهى به المجلس ، وكان يمد طرف رداءه حليلة لتجلس عليه ويلقى وسادته لضيافته ويجلس هو على الأرض ، وكانت له حصير يحتجزه في الليل فيصلى فيه ويبسطه بالنهار فيجلس عليه .

ذلك هو رسول الله ، الذى لم تعرف عنه مهانة ولا جفاء بل الدمعة واليسر ، جبل على الخلق الكريم بالهبة الالهية وليس بالرياضة النفسية ، يحلب شاته ويخصف نعله ، ويحب التيمن فى كل شئ ، فى طهوره وفى ترجله وفى تنقله .

دخل عليه الرجل يرجف فقال له : خفض عليك ، انما أنا
ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة .
كان بيته حجرات واطئة ضيقة من اللبن بينها حواجز من
جريد النخل .

هذه صورة من تواضع رسول الله وبساطته ويسره ، اتسم
بها الرسول فعرف بها ، وبهذا الخلق جمع الداعي حوله الاتباع
وانفذ اصلاح في ذلك المجتمع الضعيف الواهي فرفع قوائمه ،
وامده بالمثل العليا للتواضع والشجاعة والرحمة .

ولقد غفل القادة والزعماء عن هذا الجانب في حياتهم وظنوا ان
البساطة واليسر والاختلاط بالناس ينقص من اقدارهم فتحصنوا في
ابراجهم العاجية ، وأنفوا أن يضطربوا مع الناس في مجتمعهم أو يأخذوا
معهم في أمورهم ، أو يشاركوهم فكان نصيبهم النكران والجحود .
عرف رسول الله بالتفكه فلم يكن جهما وقد ظن بعض
الناس ان الجهامة من الزعامة .

يحمل بضاعته وقد ظن بعض الناس أن حمل
البضاعة عورة .

عرف بتلطفه مع الاطفال وكان يدمع لموتهم ويقول انما
هى رحمة يضعها الله فى قلب من يشاء من عبادہ
يكره التيز والترفع عن أصحابه واتباعه فلم يكن يعرفه
الغريب الوافد إلى المسجد حتى يسأل عنه .

٣ - عرف قدرة كل من عرّفه . عندما دخل المسجد
والقبائل مختلفة قالوا هذا الأمين ، وعند ما وقف على الصفا
فقال لو أخبرتم أن خيلا بسفح هذا الوادى تجرى اكنتم
مصدقى قالوا ما جربنا عليك كذبا .

وقالت له السيدة خديجة عندما بجأه الحق فى غار حراء
ففعل ترجف بوادره : والله لا يخزيك الله أبدا ، انك لتصل
الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضعيف ، وتعين
على نوائب الحق .

٤ - لم يغضب رسول الله إلا للحق ، وما غضب لنفسه مره
ولا اتصر لها

وعندما غضب على السيدة عائشة بعد أن استأمنها على العبد

فمرب منها وقال لها . قطع الله يدك . عاد فرفع يده إلى السماء
ودعاه . اللهم أنى بشر أغضب واسف ، كما يغضب البشر ،
فأيا مؤمن أو مؤمنة دعوت عليه بدعوة فأجعلها له رحمه .

لم يعرف عنه قط الغضب عليه السلام فى أمر من أمور
نفسه ، ولم ير غاضبا إلا فى قليل من الأمر ، غضب يوم مقتل
حمزة ، وغضب يوم عاد من حنين وأخذ الأعراب يسألونه حتى
اضطروه إلى شجرة فخطفت رداءه فوقف وقال : أعطونى رداى
فلو كان لى عدد هذه الغضاة نعم ، لقسمته بينكم ثم لا تجدونى
بخيلا ولا كذابا ولا جبانا

وهو فى غضبه يمتلك تعبيره فلا يتفلسف منه الكلام : غضب
يوم حبس عثمان ووقف تحت شجرة الرضوان وقال : يا يعونى
على أن نتاجز القوم !

وإذا كان قد غضب فى حادثين أو ثلاثا مما يتصل بأمر الدعوة
فإنه لم يغضب فى عشرات الحوادث التى تتصل بشخصه الكريم
ولم يغضب على الرجل الذى قال له . يا محمد اقض حقى

فانتم معاشر بني عبد المطالب مطل
ولم يغضب حين جبهته الاعرابي من برده نجراني الغليظ
الحاشية حتى أثر في عنقه الشريف .
ولم يبضب من الرجل الذي قال له بعد عطيه أعطاها إياها:
هل أحسنت اليك فقال ولا أجمأت !
وكان يتوضأ ليزول غضبه ، ويجلس إذا كان قائماً ويقوم إذا
كان قاعدا ويوصي بذلك

(هـ) وعرف إلى ذلك كله بالرحمة التي لا تقتصر على بني
الانسان فحسب ، بل التي تشمل كل حي

مر الرسول وهو في طريقه إلى فتح مكة على كعبة تهر على
أولادها ، وهن من حولها يسترضعنها فأمر جميل بن سراقه أن
يقوم حذائها حتى يمر الجيش لا يعرض لها أحد

وبكى يوم مات ابراهيم وقال يا ابراهيم انا ان نغني عنك
من الله شيئاً ، وأنا بك يا ابراهيم لمحزونون ، تبكى العين ويحزن
القلب ولا نقول ما يسخط الرب

وهكذا تضطرد في تصرفاته ﷺ اليومية الصغيرة والكبيرة

روح التوجيه ومعاني التطبيق فتكون تحريمية لا حظائية
وكان مشرق الروح ، موصول القلب بربه في كل أمره وحاله
يقول ابن شهاب : ان النبي ﷺ كان يأتي له بالباكورة
(من الفاكهة أو غيرها) فيقبلها ويضعها على عيذه ويقول (اللهم
كما اريتنا أوله فأرنا آخره)

وكان لا يزعمه الأمر الجان من ثقته بربه : رمى الكفار
التراب على رأسه الشريف فدخل إلى بيته وأخذت فاطمة تغسله
عنه وهي تبكي وهو يقول : لا تبكي يا بنية إن الله مانع أباك
وكان يعرف من أمره خطاه وصوابه فلا يرى مندفعاً في
دون أن يراجع نفسه المرة بعد المرة ، قال في حجة الوداع لو
استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي وقال في عمرة
القضاء : فعلت اليوم أمراً ليتنى لم أك فعلته ، دخلت البيت فعمى
الرجل من أمتى لا يقدر أن يدحله فيكون في نفسه حزازة وإنما
أمرنا بالطواف ولم تؤمر بالدخول .

وكان إلى ذلك كله : نظيفاً جميل الملبس ، لا يرى إلا في أكمل

ملبس ومظهر .

فلهما سأل في ذلك قال : إن الله يحب من أحكم إذا خرج

لإخوانه أن يتجمل لهم

ويقول أحد أصحاب الرسول أننا كنا نعرف خروج النبي
بروح الطيب .

ويقول أنس بن مالك : صحبت رسول الله ﷺ عشر سنين
وشممت العطر كله فلم أشم نكهة أطيب من نكهة رسول الله ،
مارأيت شيئاً أحسن من النبي ، وما رأيت أحداً أسرع في مشيه
من النبي ، كأن الأرض تطوى له وأنا لنجهد وهو غير مكترث .
ولم يبلغ إنسان ولا زعيم نهاية الوفاء كما بلغه رسول الله
حين نادى في الناس قبل أن يقبض : أيها الناس من كنت جللت
له ظهراً فهذا ظهري فليقتد مني ، ومن كنت شتمت له عرضاً
فهذا عرضي فليستقد منه ، ومن أخذت منه مالا فهذا مالي فليأخذ
منه ، ولا يخشى الشحناء فهي ليست من شأني .

ولقد جاهد رسول الله ﷺ في سبيل رزقه قبل الدعوة
بالتجارة ثم عاش في مال زوجته خديجة بعد البعثة ينفقه في الدعوة
ثم يسر الله له الأمر من بعد فآثر عنه قوله « وجعل رزقي تحت ظل رمحي » ،
هذه هي مظاهر الرجولة في رسول الله لم تكن يوماً من
الأيام كلاماً بل كانت (تنفيذية عملية) وبها صنع المجتمع الجديد
لجعله مثالا في السكال والبساطة واليسر

العباد

« قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين »

لم تجتمع في (مصلح) ولا (نبي) ولا (قائد) هذه الصفات التي تجمعت في رسول الله محمد ﷺ ، فقد كان نموذجاً صادقاً كاملاً للرسالة التي أرسله بها الحق تبارك وتعالى ، فكان عابداً يقوم الليل حتى تتورم قدماه ، ويصوم من الشهر حتى يكاد لا يفطر فيه ، ومع ذلك فهو يتزوج ويحمل لأهله وقتاً ولدعوته وقتاً ويقول ان لبدنك عليك حقاً ولربك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً ، هي حقوق منفصلة لا مشتبكة لا يغفل في توزيعها ولا يحور أحدهما على الآخر ، كذلك كان ﷺ العابد الزاهد والسياسي الحصيف ، والقائد الشجاع ، والاجتماعي اللبق ، والرجل الكامل ، والمحدث اللسن ، والزعيم النابه .

هذا الجماع لنواحي البطولة والتبريز ، وهذا الشمول لكل هذه المظاهر انما هو شمول الرسالة التي ختمت الرسالات والتي

جاء بها محمد ليكون خاتم المرسلين وإمام المصلحين والقادة وقدوة
الزعماء والدعاة الى الله بالحق .

وقد برز الرسول في هذه الجوانب جميعا حتى لا تكون
هناك حجة لمدع يوما من الأيام بأن الاسلام دين عبادة ولاهوت
أو دين صومعة ورهبانية وان كانت العبادة واللاهوت جزء من
هذا الكل الجماعى الشامل الذى يتنظم ذلك النظام الاجتماعى
والاقتصادى والسياسى الذى يضم الى عبادة الله والتذلل اليه
والعبودية له تلك العزة والرجولة وامتشاق الحسام أمام الخصوم
والاعداء وفى سبيل رعاية الدعوة وحماية الشعوب .

وقد وصل رسول الله فى جانب (العبادة) إلى أرقى درجات
العباد المؤمنين ، وبلغ ذروة العبقرية فى السياسة والحرب
والبلاغة كذلك .

كان رسول الله مثالا عاليا للإيمان والعبودية والتجرد ، وقد
امتلكته الدعوة عليه حواسه وقلبه فصبر على الجاهل
والمتعنت ولقى الناس بالاقناع والحجة حتى اتمام عيناه ولا ينام
قلبه ، واذا نام لم يوقظوه حتى يكون هو الذى يستيقظ .

ومن خشيته لربه وشدة خوفه من عظمته نسب كل شيء إليه
ووصل نفسه به في كل أمره ، وكل حر كاته ، يذكره عند ما يستيقظ
وعند ما ينام وعند ما يمشي وعند ما يخرج من منزله وعند ما يدخل
المسجد وعند ما يعود وعند ما يسافر وعند ما يرجع وعند ما يلبس
قام الليل حتى تفطرت قدماه وقد سأل لم تصنع هذا يا رسول
الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال : أفلا
أكون عبدا شكورا فإذا صلى بالناس خفف صلاته حتى يكون
أخف الناس صلاة ، فإذا صلى بنفسه أطال صلاته
ويقول عبد الله بن مسعود ، صليت مع النبي ليلة فأتال
القيام حتى هممت بأمر سوء ، قيل وما هممت ، قال هممت
أن أجلس وادعه .

ويقول عبد الله حذيفة بن اليمان ، صليت مع النبي ذات ليلة
فافتتح بالبقرة فقلت يركع بعد المائة ثم مضى فقلت يصلي بها
في ركعة فمضى فقلت يركع بها ، ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح
ال عمران فقرأها ، يقرأ مر سلا فإذا مر بآية فيها تسبيح سبح وإذا
مر بسؤال سأل وإذا مر بتعوذ تعوذ ثم ركع فجعل يقول سبحان ربي

العظيم فكان ركوعه نحواً من قيامه . ثم قال سمع الله لمن حمده ، ربنا لك الحمد ثم قام قياماً طويلاً قريباً مما ركع ، ثم سجد فقال سبحان ربّي الأعلى فكان سجوده قريباً من قيامه ، رواه مسلم .

يصلّي رسول الله لربه ويقوم الليل إلا قليلاً وإذا حزبه أمر أكثر من الصلاة ، وإذا جاءه من له مصلحة قصر من صلاته . (٢) يعرف قدر ربه ويخشاه فيقول شيبتي هود واخواتها ويذكّر كل انسان بموقفه عند ربه ولو كان له قريباً فيقول يا فاطمة بنت محمد سليني ماشئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً ، ثيق بالله في مواطن الشدة والبأس ، فلا تغره المظاهر ، يقول له أبو بكر وهما في الغار : لو نظرنا تحت أقدامهم يا رسول الله لرأونا فيقول : يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما : لا تحزن ان الله معنا .

يشكر ربه في مواطن النصر ، فيدخل مكة ساجداً على بعيره وهو يردد : لا إله إلا الله ، نصر عبده ، وعز جنده وخذل الأحزاب وحده .

يعود من غزوه أو سفره إلى المسجد فيصلي لله ركعتين قبل أن يدخل منزله .

يذكر ربه في كل حال . فإذا عاد من سفر كبير على كل شرف وقال : تائبون أيون ، ان شاء الله حامدون ، ربنا عابدون ، اعوذ بالله من وعشاء السفر وكابه المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال .

وإذا خرج إلى السفر قال : اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل وإذا بنى مسجده ارتجز :

اللهم ان العيش عيش الآخرة فاغفر للانصار والمهاجرة
وإذا حضر الخندق ارتجز

اللهم لو لا أنت ما أهديتنا ولا تصدقنا ولا صليتنا
فإننا سكينه علينا وثبت الأقدام ان لا قبنا

وإذا رأى المطر قال : اللهم صيبا نافعا ، وإذا خاف ضرره
قال : اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام والآجام
والظراب والأودية ومنابت الشجر

وإذا سمع الرعد والصواعق قال : اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا
تهلكنا بعذابك . وإذا رأى الهلال قال : الله أكبر اللهم أهله علينا

باليمن والإيمان والسلامة والسلام . ربني وربك الله ، هلال
خير ورشد .

ويقول المسافر : استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم أعمالك
وإذا سري بالليل مسافرا : قال اللهم أطو له الأرض وهون
عليه السفر

قال جابر بن عبد الله أن الرسول كان يعلمنا الاستخاره
في الأمور .

وإذا رأى ما يحب قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ،
وإذا رأى وجهه في المرأة قال : اللهم أنت أحسنت خلقي فأحسن خلقي
وحرمني وجهي على النار ، وإذا قال له إنسان (إني أحبك) قال (أحبك
الذي أحببتني له) وإذا أصبح قال (أصبحنا وأصبح الملك لله)
وإذا وقع له مالا يختاره قال : قدر الله وما شاء فعل ،
وإذا استصعب عليه شيء قال : اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا
وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا ،

وإذا لبس الثوب قال : اللهم اني أسألك من خيرة وفي خير
ما هو له وأعوذ بك من شره ومن شر ما هو له

وإذا خرج من منزله قال بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله

وإذا قدم اليه الطعام قال (اللهم بارك لنا فيما رزقنا وقنا عذاب النار)

وإذا دخل فراشه قال (باسم الله ربّي وضعت جنبي وبك أرفعه) وهكذا لا تمر ظاهرة من ظواهر حياته صلى الله عليه وسلم إلا وهو متصل فيها بربه ، ذاكر له ، ملتصق منه جل وعلا الخير والتوفيق (٣) قال أبو حميد الساعدي : « انا كنت احفظكم لصلاة رسول الله ، رأيته إذا كبر جعل يديه حزام منكبيه ، وإذا رفع أمكن يديه من ركبتيه ، ثم هصر ظهره فإذا رفع رأسه استوى حتى يعود كل قفار الى مكانه ، فإذا سجد وضع يديه غير مفترش ولا قابضهما واستقبل باطراف أصابع رجليه القبلة ، فإذا جلس في الركعتين جلس على رجله اليسرى ونصب اليمنى ، وإذا جلس في الركعة الأخيرة قدم رجله اليسرى ونصب الأخرى وقعد على مقعده ،

تلك صلاته ، أما ضجاعه فهو ادم محشو ليفاً قيل أن عائشة

كانت تفرش للنبي عبادة فجاء ليلة وقد ربعها فنام عليها ، فلما أصبح قال يا عائشة ما الفراش الليلة ليس كما كان ، قالت يا رسول الله قد ربعتما لك قال فاعيديه كما كان ، وفي رواية انه منعني من قيام الليل .

(٤) ومع هذا القدر الرفيع من العبادة والاتصال بالله فقد كان يغضب ممن ينجحون الى العزلة والانقطاع والرهبانية ، وقد عرف غضبه ومعارضته لاحد أصحابه عندما مالت نفسه للعزلة في مغارة بجانبها ماء وخضرة . وقال للذين مالوا الى الرهبانية والانصراف الى العبادة ، أما والله اني لاحشاكم لله واتقاكم له ولكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأنزج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ، وهكذا يجمع رسول الله بين التعبد لله في أرق مدارجه حتى تكون قرة عينه في الصلاة و بين أداء حقوق الانسان في الحياة من زواج وطعام ونوم كماجتمع له أن يكون عابدا وسياسيا وقائدا .

ومن هذه الصور التي عرضناها من حياة « رسول الله » كما بدت ترى أنه بلغ ذروة الايمان بالله والتوكل اليه والرجوع

اليه ، ، وكانت لحظات حياته كلها وتصرفاته وحركاته مرتبطة
بربه والدعاء له .

ولم تكن هذه (العبودية لله) لم تكن عبودية الرهبان
والعاكفين في المغاور والكهوف ، وإنما كانت عبودية الرجل القوى
المتجهز للقاء العدو ، المراقب لحركاته ، الباث عيونه في كل مكان
لاستكناه أمره .

عبادة القوى لأعباده الضعيف ، يعرف ربه ويلجأ اليه ومعه
القوة والعدة ، ويدعوه حتى يسقط ردائه وكتائبه مصطفىه للقتال
فلا تنسيه العدة والسلاح حسن الالتجاء إلى ربه ولا يكتفى
بالدعاء عن اعداد ما يستطيع من قوة ومن رباط الخيل يرهب به
عدو الله وعدوه . وليس هناك تعارض في الجمع بين العدة
والعبودية ، وإنما يكون التعارض في مقاييس العجزه الضعاف
الذين يرون الاكتفاء بالدعاء عن الاستعداد ، أو يسوقون
القوة المادية لغير ما ينبغي ان تساق ، وبغير التماس لعون الله .

الاجتماعى



برز رسول الله في رجواته ، فكان مثالا كاملا ، يقتدى
ويحتذى ، وكانت رجواته عملية توجيهية .

وبلغ أرقى درجات التعبد ، ولكنها كانت عبادة القوى
الواثق بربه المستعد بالعتاد وليست عبادة التواكل والعزلة .

والجانب الاجتماعى فى رسول الله جانب فياض ضخم ،
أظهر فيه معالم المشاركة الوجدانية والإيثار والتواضع حية
ناضئة بالقوة فهو كزوج وكوالد وكقائد ترى فيه تلك البشاشة
وذلك الانس واللين .

عندما ذبحوا الشاه . قال أحدهم على سلتها وقال الآخر على
طبخها فقال الرسول : وعلى جمع الخطب .

عمل مع الأجير والفاعل فى بناء مسجد المدينة ، والحنديق .
وتلك أعلى درجات (المشاركة) وهو الغنى برفيع مقامه بين
أصحابه عن أن يدعه أصحابه يعمل معهم ولكنه كان يكره

أن يتفضل عليهم وقد امتنع عن عن قبول رأى على بن أبي طالب ومرشد ابن أبي مرشد النخعي في أن ينزلا له عن حقهما في المشي في طريق بدر .

(٢) وعرف (بالتواضع) فكان يركب الخمار ويردف خلفه ويجلس حيث ينتهي به المجلس ويأكل مع خادمه ويركب الخمار بالاسواق ويمتقل الماء فيحلبها ، ويشرب آخر الناس ويقول ساقى القوم آخرهم شرباً ، وكان يزور خادمه انس في بيته ويتلطف مع في القول .

(٣) وعرف بالايثار فكان يوزع على أصحابه كل ماغلا من الغنيمة ويقنع بالقليل والحقن ، وبلغ في ذلك نهاية ما عرف من الكرم فإذا سأل أعطى كل مايمالك وإذا سأل وهو ممدوم وعد ولم يزد وأحياناً يأتيه الرجل وما عنده شيء فيقول له ابتع علي فإذا جاءنا شيء قضيناك وبوثر من يدخل عليه بوسادتهم يجلس على الأرض وينعم بمبائمه .

(٤) وبرز في آداب المعاشرة واللاياقة ولطالما قال: اني لست ارضى لكم ما اسخطه انفسى ، ولم يفقه متفوق في حسن مقابله

للناس والاجتماع بهم ، فهو ينتهت بوجهه وجسمه ويصغى تمام
الاصغاء . ويتحدث اليه من شيء فلا يقطع حديثه وان طال .
ولا ينزع يده من يد محدثه حتى يكون صاحبه هو الذى ينزعها
ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون هو الذى يصرف وجهه
عنه . وكان يتجمل لآخوانه إذا خرج إليهم وإذا غاب أحد من
آخوانه ثلاثة أيام سأل عنه . ويخفف صلاته لمن ينتظره ولم
ير مقدما ركبته بين يدي جالس له . ويقول (انس) خدمت
رسول الله عشر سنين فما قال لي أف قط . وما قال لشيء صنعته
لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وتلك سجية الداعية والمصلح
والنبي ، يتألف الناس بهذا الطبع الكريم السمع ، وهذا الحلم
الوفير ، وقد جمع رسول الله اليه القلوب بهذه المشاركة لاتباعه
والسهر على مصالحهم ، وأشعارهم بقربهم إلى نفسه ومكانهم عنده
وذلك جانب من عبقرية القيادة ونبوغها وتقديرها لاتباع
وسياستهم باللبن في مواضعه والشدة في أوقاتها حتى يستقيم الأمر
ولا يغلت الزمام

وهو القائل في شأن الصحبة والرفقة والتلطف فيهما

« صاحب مسلم صاحب ساعة من نهار إلا سال عن صحبته يوم
القيامة »

(٥) وقد حرص الرسول على أن يكون اتصال الناس
ببعضهم في أمر المعاملات رفيقا لينافيه عدالة وسلامة، ولقد غضب
على عمر عندما نهر الرجل الذي جاء يطالب الرسول بدين عليه،
وقال له : أنا وهو كنا إلى غير هذا منك أحوج : أن تأمره
بحسن التقاضى وتأمرنى بحسن القضاء.

وتلك مزية الاجتماعى المطبوع والزعيم اللبق . يسبق حله
غضبه ولا يزيد شدة الجهل من أحد عليه إلا حله .

وهو إلى ذلك مثالا للنظافة والتزين والتجمل وقد أوصى
بها وقد أثر عنه قوله (اغسلوا ثيابكم ، وخذوا من شعوركم
واستاكوا وتزبنوا وتنظفوا فان بنى اسرائيل لم يكونوا يفعلون
ذلك فزنت نسايتهم) وفى هذه الحكمة ما فيها من دقة الملاحظة ،
ومن رفعة الاسلام عن أوضاع بعض المتمخرقين وحمله الرقع
والأدلاق .

وجمع الرسول إلى هذا المعنى دقة الاحساس الاجتماعى فى

صلة الرجل بزوجته وقال (إذا دخلت ليلا (من السفر) فلا تدخل على أمك حتى تستحد المغيبة وتمشط الشعثه ، الكيس الكيس) وتلك براعة الفاهم الحصيف لعلاقات الرجل والمرأة وأثر المفاجئات الغير منتظرة ، في موقع المرأة من زوجها .

وهو لذلك كان حريصا ان يقرع بين نسائه إذا خرج في سفر فايها خرج سهمها خرج بها ، حتى لا يغضب احدها . وقد تحرى العدل بين زوجاته إلى ابعد حدوده . وقال : اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك ، وقد بلغ في هذه العاطفة الاجتماعية مع زوجاته إلى أن سبق عائشة فسبقته مرة وسبقها مرة أخرى .

ونفذت بصيرته الاجتماعية الفاهمة إلى أدق الأمور التي تقوم بين المرأة الرجل فآثر عنه انه قال للمرأة التي تختن الجوارى : يا أم حبيبة إذا فعلتني فلا تنهكي فانه اسرى للوجة وأحظى عند الزوج . ولم يمنع ذلك من أن زوجاته كن يراجعنه حتى يظل طول يومه غضباناً .

(٦) ولم يحب الرسول طعاماً قط : إذا اشتهاه أكله وإذا

كرمه تركه ، ونظم الاوضاع الاجتماعية في قواعد بسيطة سهلة شاملة حين أوصى بأن لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه . وإذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث . ويسلم الراكب على الماشى والماشى على القاعد والقليل على الكثير .

(٧) وأوصى في أمر الخدم والعبيد وصايا كريمة ، هي النموذج المشاركة الاجتماعية فقال : إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلس معه فليأوله لقمة أو تميمين . وقال هم أخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكفروهم من العمل ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم .

وبذلك بلغ الرسول مبلغا لم يرق اليه مصلح اجتماعي من أصحاب المذاهب فكيف بأصحاب الدعوات التنفيذية التطبيقية وهل يمكن أن يكون في مذاهب الديمقراطية أو الشيوعية مثل هذه القوانين التي تقتل الفوارق ويقدم بين الناس أسباب الود والحب ، وتقوى أواصر الاخوة والاخلاق .

وهل أثر عن زعيم من هؤلاء المتزعمين أنه أكل مع خادمه أو زاره في بيته أو قال ما قال محمد حين أراد أنس أن يحمل له

سراويله من السوق : أن صاحب الشيء أحق بشيئته أن يحمله وهل
عرفت الدنيا يوما ، ذلك المثل الذي ضربه الرسول لابنته فاطمة
حين جاءت تطلب خادما لما اشتكت من الرحى وهو فيما يروى
على ، لجاء النبي فأتانا وقد دخلنا مضاجعنا فذهبنا نقوم فقال على
مكانكما : حتى وجدت برد قدميه في صدري فقال ألا أدلكما على
خير مما سألتانني إذا أخذتم مضاجعكما فسيبجا الله ثلاثة وثلاثين
وحمداه ثلاثا وثلاثين وكبراه أربعة وثلاثين فإن ذلك خير
مما سألتما ، وفي رواية وكيف أعطيكما وأترك أهل الصفة على ما هم
عليه من الجوع .

تلك لعمرى سجايا بليغة في القدرة النفسية على فهم أمور
المجتمع والنوص في أعماقه وحل مشاكله لم تتح لزعيم من الذين
يفرضون أنفسهم على دنيا السياسة والدول في هذه الأيام .

وهي صورة صادقة لمن أراد الزعامة الإسلامية ، ومعالم
صحيحة للإنسان الكامل الصالح لأن يعيش في المجتمع ، يشارك
الناس ويعقد معهم أواصر الصداقة والمودة من غير أن يطغى
ذلك على مبادئه ، بل ليكون منه عوننا له على انفاذها إلى قلوب

الناس وكسب الاعوان لها والانصار

القائد

عرضنا للجوانب الانسانية الثلاث ، رجولة ، ، عبادة ، ، اجتماعية ، في رسول الله ﷺ ، فلم نرها في شخصيته الا مثالا للكمال والسمو ، وبقيت للرسول جوانب من أبرزها جانب (القائد) الحربي ، وهو الجانب العسكري ، المتصل بالجهاد والحرب وتدير المعارك وقذف الكتائب في نحر العدو ، وهو تعبير (عرفي) يقصر أمره في نظر بعض الناس على النواحي الحربية والعسكرية ، ولكنه في الواقع أكثر شمولاً ، إذ يطلق على الزعامة عامة ويشمل القيادة في السلم والحرب ، ويعني التوجيه والارشاد والإمامة للاتباع والانتصار ، باعتبار هذه (الإمامة) رباط قوى متين بين القيادة والاتباع والجنود يتصل بكل دقائق الصلات والعلاقات بينهما مما سنفصله في مكانه من كتاب (القيادة)

برزت القيادة الحربية بعد أن فرض القتال ونزل أمر الله به (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن على نصرهم لقدير) فرض القتال بعد الاستعداد والتأهب ، وبعد الهجرة

وقد عرف عن رسول الله ﷺ من البراعة الحربية ما لا يزال مثلاً عالياً في "العمل الحربي الذي يحتذى ويقلد"، والذي يبهز الأبصار، ويملا النفس إعجاباً وتقديراً لهذه القدرة الانسانية العبقريّة على تصريف أمور الحرب وهي من أخطر الأمور، وأجلها .

لم يكن رسول الله ﷺ محباً للقتال أو راغباً فيه، ولطالما حرص على أن يحصل على أعظم النتائج بأقل التضحيات؛ ولم يكن يلجأ إلى الحرب إلا عند ما تنفذ من بين يديه وسائل الدفاع جميعها، ولطالما قال المسلمون (لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية) .

بلغ ذروة الشجاعة فكان إذا اشتد الوطيس وحمى الباس واحمرت الحديق اتقى الناس برسول الله فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه، وفر الناس من حوله في (حنين) وهو ثابت لا يريم، يهزأ بالحوادث ويهتف (أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبدالمطلب) عرض عليه الانتصار بالمشركين وهو في قلة وحاجة إلى رجل واحد فابى وقال : لا انتصر بمشرك وتلك عبرة القائد

الوائق بصدق دعوته ونصر ربه فلا يستعجل الأمور ولا يتزيد
بالناس وجاهة أو قوة : وإنما يعرف أمره ويحصره في الخلق
من الاتباع المبايعين على السمع والطاعة فيكون واثقا من أن
مركزه بيده لا بيد قوى مشرك قد يحلوه أن ينصرف ويدعه
في أخرج الأوقات . ولطالما أعجب بعض اتباع الدعوات بالناس
لحم أسماء لامعة أو مرا كيز ضخمة وسرهم أن يروهم يتقربون
منهم ولكنهم ندموا من بعد عند ما خدعوا في هذه المظاهر
التي أقدمت لغرض فلم تخلص وجهها لله ولا للحق .

عرف القائد بالشورى لأصح به ، ولكنه عرف بالحزم عند
ما لبس المسلمين في أحد ورجع المسلمون عن رأيهم في الخروج
إلى الاعتصام بالمدينة فقال لهم في حزم : ما ينبغي لنبي ليس لامته
أن يضعها حتى يقاتل

وضع لكل أمر قدره وميعاده في اتزان وحكمة . طلب إليه
أهل بيعة العقبة الكبرى أن يميلوا بأسيا فهم غداة البيعة على أهل
مكة فقال لهم لم تؤمر بقتال

عجم عيدان أتباعه ، ودرس خصائصهم ، وميزهم على قدر

عزائهم وأرسل على رؤوس السرايا رجال فيهم مناعة خاصة :
قال لعبد الله بن جحش عند ما أرسله على رأس السرية : إني
استعملتك على هؤلاء النفر فامض ، حتى إذا سرت ليلتين فأنشر
كتابي ولا تذكرهن أحدا من أصحابك على المسير معك
وامض لأمرى فيمن اتبعك حتى تأتي بطن نخلة ترصد بها غير
قريش : ثم قال لأصحابه إني استعملته عليكم لأنه أصبركم على
الجوع والعطش

وفي هذا التوضيح معان . أوامر مختومة تفض في أماكن
معية ثم امتحان للرجال ، لا إكراه فيه ، ثم تقدير لأمير فيه صفة
خاصة من الصبر على الجوع والعطش ، ثم عمل منظم .
عرف عنه السكتان والتورية والحيلة كأن يقصد جهة
ويورى بأخرى . .

يتجهز لفتح مكة فيكتم الأمر عن أقرب اثنين إليه : عائشة
وأبو بكر ، بث عيونه وأرصاده في كل مكان فكان يعلم الأمور
قبل أن تقرر وكان يرسل سراياه إلى من يدبرون له أمر
قبل أن يمدوه .

بلغ من حرصه وخيفته من غدر قريش أن جهز مائة فارس
في عمرة القضاء ، جعل على رأسهم محمد بن سلمة ، وبعضهم طليعة
له على ألا يتخطوا حرم مكة .

عرف بالنظام والترتيب الحربي الدقيق . درب السرايا
وأرسلها فلما اشتد ساعدها تقدم بها إلى معركة ضخمة . وأرسل
للجيش قائد وخليفة له لو أصيب قائده وثالث يخلف الثاني وقال
أمير الناس زيد بن حارثة فإن قتل جعفر بن أبي طالب ، فإن قتل
جعبد الله بن رواحة ، وإن قتل فليرتض المسلمون منهم رجلا
يجعلوه عليهم .

يستعرض الجيش ويعرض المقاتلة ويسوى الصف ويرد
صفار المحاربين ، يخرج إلى الغزاة فيستخلف على المدينة
ويستخلف على الصلاة .

إذا غزا قوما خرج في رجاله فلا يظهر وجهها ويغد السير ،
ولا يغير عليهم حتى يصبح ؛ فإن سمع أذانا أمسك ، وإن لم
يسمع أغار .

بلغت به البراعة الحربية والحاسة العسكرية ما لم تباه
في قائد من قبل يتفرد لقيادة الجيوش دون أن يكون له رسالة
أو زعامة أو دعوة .

سأل عن المشركين يوم بدر فلم يعرف من سائله ما يريد ، فقال له : كم يذبحون ، قال يوما تسعا ويوما عشرا فاحرز أن القوم بين التسعمائة والألف . عند ما هزم المسلمون في أحد ، وفرت قريش ، قال يأسعد اتبعهم فإن ركبوا الأبل فهو الظعن وإن ركبوا الخيل فهي الغارة .

الثقة بنصر الله ، والثقة بالنفس والتعرض للموت والبذل والفداء ، كانت من نتائجه أنه انتصر دائما بالقليل من جنوده على الكثير من خصومه وشعاره . لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف . يقاتل فلا يلتفت وراؤه . يقول لو لا أن أشق على أمتي ما فعدت خلاف سرية تغزوا في سبيل الله ولوددت أن أقتل في سبيل الله ثم أحيأ ثم أقتل ثم أحيأ ثم أقتل .

لجأ إلى ربه في بدر حتى سقط رداؤه عن كتفيه ، ولما فتح مكة ورآها لا تقاوم ، استوقف كتابه ووقف على راحلته وانحنى لله شاكرا

الحكمة في أمر الجنود : لما كان بالسكينة في فتح مكة بين

الظهر والعصر : أخذ أثناء ماء في يده حتى رآه المسلمون ثم أفطر
في تلك الساعة وقال انكم مصبحو عدوكم والفطر أقوى لكم ،
وبلغه أن قرأ ما صاموا فقال : أولئك العصاة

تلك لمحات من عبقرية الرسول الحربية وهذا اجمال لها له
تفصيل في كتاب (أيام الله ومغازي الرسول) تدل على مدى
تلك الخبرة والقوة والسداد في أجل أمور الدعوة ،
ومواقفها الفاصلة .

فقد أوتي رسول الله القدرة الكاملة على توجيه الأمور
وتعريفها بما لم يوت أحد ، وبما سجل التاريخ من صور لا تزال
عدة المجاهد ، وسبيل النصر .

الخطيب والمحدث

من أبرز أسلحة الدعوات الخطابة والكتابة والحديث ،
وقد ووري عن رسول الله جانب الكتابة لحكمة عليا في تنزيل
القرآن ، وما كُنت تتلوا قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا
لارتاب المبطلون ،

وقد بلغ رسول الله في جانب الخطابة والحديث مبلغا أزرى
عظماء العرب وبلغائهم . لقد كانت بلاغة رسول الله وقوة
بيانه تختلف اختلافا بينا عن بلاغة من سبقوه ، إذ أنها لم تكن
بلاغة الكتاب أو الخطباء أو الشعراء أو المتشرفين بالكلام في
حلق الكعبة أو أسواق عكاظ وغير عكاظ ، وإنما كان كلام
الداعية : كلام المصلح صاحب الرسالة والهدف ، الذي لا يلقي
الكلام على عواهنه ، ولا يطلقه تفيها أو تطاولا أو استعلاء على
الناس أو إبرازا للقدرة البلاغية ، وإنما كان كلام الحريص
المدقق ، الذي يعرف ماذا يقول ، والذي يضع كلامه في موضعه
فهو يوجه كلامه إلى أنصاره أو خصومه ولكل من هؤلاء

أسلوب لا يتعدى الحق أو يخرج عنه ولكنه على كل حال كلام
القيادة الدقيقة اليقظة .

وقد عرف في رسول الله حسن توجيه القول بحيث لا يخرج
به انسانا ويعممه فلا يخص به من يقصده به ، ويتبسط في القول
ليقرب إليه القلوب ، ويلين لأصحابه واتباعه في مواضع اللين
ويشتد على خصومه في مواقف الشدة والحق التي لا مناص فيها
من الشدة والحزم .

البلاغة والحديث اللبق سلاح من أسلحة الدعوة فقد نشر
الرسول دعوته بالافتناع وبلغ ذلك حداً بعيداً في السجال بين
الرسول وبين اليهود في مكة ، وقضى رسول الله ثلاثاً عشر عاماً
وسلاحه القول والكلام وأهل مكة بله جزيرة العرب كلها أهل
لغة وبلاغة ولسان الكلام سلاحه ، والكلام المتميز بالسهولة
والبساطة ، الالفاظ على قدود المعاني ، السهل الممتنع

البلاغة في البساطة التي تقرب المعنى إلى الأذهان دون أن
تبتذل به ومع ذلك فقد حرص الرسول على التذكير بسحر البيان
وخطره فقال : « ان الله تعالى يبغض البليغ من الرجال ، الذي
يتخلل لسانه تخلل الباقرة بلسانها .

ويوصي رسول الله بالكلام وخطره وأثره فيقول من
تعلم صرف الكلام ليستبي به قلوب الرجال لم يقبل الله منه يوم
القيامة صرفاً ولا عدلاً ، ويقول وهل يكب الناس في النار إلا
حصائد السنتهم .

وحرص على استعمال القول في مكانه حتى عرف عنه
الصمت والقليل من الكلام ومجاافة اللغو والتكرار .
وإذا خطب أحمرت عيناه ورفع صوته واشتد غضبه كأنه
منذر جيش - بعد عن العى والعجز والقصور ، وبلغ الذروة في
وضوح الجواب ونصاعة الحجّة ، وفصاحة اللسان ، وإيجاز
الكلام ، وجزالة الالفاظ وتقول عائشة : ما كان رسول الله
يسرد كسر دكم هذا ولكن كان يتكلم بكلام بين فصل لو عده
العداد لأحصاه .

يفتح الكلام ويختتمه بأشداقه ويتكلم بجوامع الكلم ، فصلاً
لا فضول فيه ولا تقصير ، ولا عجب في بلاغة الرسول ولا غرابة
فقد سأله أبو بكر : لقد طفت بالعرب وسمعت فصحاءهم فما
سمعت أفصح منك فن أدبك : قال الرسول أدبني ربي فأحسن
تأديبي ولا عجب فقد نشأ رسول الله في بني سعد وولد في قريش

ونزل القرآن على لسانه . فجمع بين جزالة البادية وبين القدرة على مخاطبة كل قبيلة بلهجتها فحطانها ، وعدنانها ، وحجازها ، وتهامها ونجادةها .

اين هذا من متزعين اليوم تجهز لهم الخطب وتكتب ومع ذلك يتعثرون في قائمها ولا يعرفون معانيها .

وقد أوجز الجاحظ بلاغة الرسول وقدرته البيانية في عبارات رائعة قال : « ألقى الله على كلامه المحبة وغشاه بالقبول وجمع له من المهابة والحلاوة وهو مع استغنائه على إعادته ، وقلة حاجة السامع إلى معاودته لم تسقط له كلمة ولا زالت له قدم ولا بارت له حجة ولا قام له خصم ولا أخمه خطيب . بل يبذ الخطب الطوال بالكلام القصير ، ولا يلتبس أسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ، ولا يحتج إلا بالصدق ، ثم لم يسمع الناس بكلام اعم نفعا ، ولا أصدق لفظا ، ولا أعدل وزنا من كلامه ﷺ ، وتفصيل القول في بيان الرسول مكانه في كتاب « حديث الرسول وبيانه »

الزعيم السياسي

جمعت بين الزعامة والسياسة في الحديث عن رسول الله ﷺ الزعيم والسياسي اعدة أمور يتعلق بعضها بسعة جوانب الشخصية المحمدية ، سعة تلتظم الكثير من الصفات والوظائف . ولأن الزعامة النبوية قد امتزجت بالسياسة كما امتزجت بالدين ، فلم يكن رسول الله منشيء دين فحسب واسكنه كان أيضا مؤسس دولة . وقد أتيح له أن يشتغل بالسياسة في صورها العليا اشتغالا دل على لباقة وقدرة وحصافة لم تتأني لسياسي من بعد اشتغل بالسياسة الواضحة الصريحة ، فأرسل الوفود وعقد المعاهدات والعهود ، ونظم الدولة ، ووضع قواعد النظام الاجتماعي والقضائي وقام عليه . ولم يعرف لعهد ما يسمونه اليوم بالزعامة الدينية منفصلة عن الزعامة السياسية .

وإذا كان رسول الله في شخصيته الفردية قد جمع صفات العابد والاجتماعي والمحدث فقد كان رسول الله بشخصيته العملية زعيما وسياسيا ومحاربا وقد كانت شخصيته الفردية في ذاتها

قواعد هامة في شخصيته العملية كذلك ، فقد كانت بلاغة المحدث ولباقة الاجتماعي وإيمان العابد من أدوات المهمة التي تجرد لها ﷺ واخذت منه حياته كلها ووقته جميعه من اقطارها فكانت شمائله الخاصة عدة صادقة في سبيل انفاذ رسالته ووسيلة من وسائل النجاح فيها .

وقد عمد القرآن إلى توجية هذه الناحية السياسية بالاضافة إلى الجوانب الاخرى فاثبت في صميمه قواعد للتصرفات السياسية بلغت حداً كبيراً من الدقة والنفاذ .

وقد استعملت لفظ الزعامة هنا لكي أصل إلى تثبيت هذا المعنى السياسي بالذات وكنت اعتقد ان لفظ القيادة اشمل منه ، لقصور لفظ الزعامة في العصر الحاضر على السياسة فحسب . وهو جانب واحد من جوانب التعرّيز في شخصية رسول الله الجامعة الشاملة

برز معنى الزعامة في شخصية رسول الله ﷺ بروزاً واضحاً فقد اوتي من القوة والوجاهة واليقظة واللباقة والفراسة قدراً ليس بالقليل ولا بالمتوسط وزاده تميزاً عصمة الله له وتوفيقه اياه . ولقد وصف لذلك بأنه من رآه بديه هابه ، ومن خالطه

معرفة أحبه واستتبع ذلك ان اختاره العرب على أهلهم وماجروا معه . وقد عرف باحكام التصرف ، وأعطى السكينة الباعثة على على الهيبة وamide الله بحسن القبول فوافقتة القلوب وانقادت له النفوس وجمع إلى ذلك صدق الفراسة ورجاحة العقل وحصنة وافرة من الدهاء فما استغفل في مكيدة ولا استعجز في أمر .

وبلغ أعلى مرتبة بلغها زعيم فشهد له خصومه بالصدق والأمانة وورق إلى أوفى درجة من الاشعاع النفسى والتأثير الروحى فاجتمع له الناس المختلفون مراجاً وخصالا وتربية وثقافة .

واستطاع ان يحول الطبائع بعد أن وصلت إلى درجة الاستقرار ، فأصبحت عجينة مرنة سهلة التحول والتشكل بعد أن طال بها عهد الجاهلية بوراثياته وتغرضاته .

أتصف بالسكينة فمن رآه بداهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه يحذر الناس ويحترس منهم من غير أن ينطوى لأحد منهم على سوء ، يتخافل عما لا يشتمى ، ولا يواجه أحد بمكروه ، وإذا أراد أن يوجه نقدا عممه ولم يخص به .

منى بحفوة الأعراب فلم تقع منه بادرة وما روى له التاريخ

عشرة أو هفوة، وصل من الزعامة الحكمة إلى أبعد أسواطها
وأعلى مدارجها .

أوتى شجاعة موسى وشفقة هارون وصبر أيوب وإقدام
داود وعظمة سليمان وبساطة يحيى ورحمة عيسى

عرف بالتمسك في الصبر والثبات على الشدائد والقدرة على
تجنب عواقب الأمور، والأعراض عن زخارف الدنيا فقد زهد
فيها واكتفى بالبلاغ منها ، وقال انما معاشر الانبياء لا نورث وما
تركناه صدقة، تواضع للناس وهم أتباع وخفض جناحه المؤمنين
وبلغ غاية الحلم ونهاية الحكمة .

أحسن صحبة أعدائه ، وعنى بأمرهم ، فعفا عن أبو سفيان
وجعل له في فتح مكة مكانا يليق برعامته ولم يسئبه إياها ، ولم يقبل
مشورة عمر في قتل ابن سلول وكفنه بقميصه وصلى عليه

قام أمره على الثقة بنصر الله وتأيدته وعلى الحذر المتصل
واليقظة الكاملة ، بلغ مبالغه من الظفر والتمسك وظل ينام على
الحصير حتى تؤثر في جنبه وليس في خزائنه إلا قبضة من شعير
وبقى مكثفيا بالقليل من الطعام والخفيف من الثياب

وبلغ ذروة الثقة بدعوته والاصرار على حقها فرفض قوله
عنه وهو في أشد حالات الضعف، لم يقبل المساومة ودعوته في
حاجة إلى نصير واحد، عرض عليه بنوشيدان عروضاً وكانوا
يزيدون على الآلاف : فقال لهم لقد قلتم فاحسنتم ورددتم فاجلتم
الرد ولكن دين الله لا ينصره إلا من أحاطة من جميع نواحيه
وبلغ ذروة الثقة بربه في نصر دعوته

وعرف أمور الناس فقال انزلوا الناس منازلهم ، خياركم في
الجاهلية خياركم في الاسلام ، وفهم سرائر الناس وداراهم وأثر
عنه قوله : إن الله أمرني بمداواة الناس كما أمرني بالفرائض :
وقوله لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئاً فإنني أحب
أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر

وهب القدرة على فهم الرجال والاتباع فوضعهم في المواضع
التي يصلحون لها . جاءه أبو بصير مسلماً فرده مع من جاء يأخذه
فلما مضى قتله في الطريق ورجع ال الرسول مخبراً بأمره وأمر
صاحبه فلما انصرف قال الرسول معجبا به . ويل أمه مسعر
حرب لو كان معه رجال . . وتحققت فراسة الرسول وفهمه
للرجال . أوتى القدرة على فهم بواطن الأمور . لما وصلت

والقصواء ، الحديدية بركت وظن المسلمون أنها جمدت ، ولكن
الرسول بما أوتي من قدرة على اكتئاف بواطن الأمور قال : إنما
حبسها حابس الفيل عن مكة ، لا تدعوني قریش إلى خطبة
يسألونني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها

أوتي العفو : عفا عن أهل مكة بعد أن قدر عليهم ، وصفح
عن اضطهاد ثلاثة عشر عاما ، وعفا عن أهل الطائف بعد أن
ردوه ردا غير جميل وأعاد لها سباياهم وكانت ستة آلاف ،
وتألف قلوب بعض المسلمين باضخم قدر من اليه في أول
غزاة بعد فتح مكة .

أوتي الشجاعة : فزع أهل المدينة فانطلق الناس يبحثون عن
الصوت فلقبهم رسول الله راجعا وقد سبقهم وابتدر الخبر على
فرس عري والسيف في عنقه فاستقبلهم ذاهبين وهوراجع فقال
لهم : لن تراعوا .. لن تراعو ..

وظل في مكة بعد أن أذن لأصحابه في الهجرة إلى المدينة
حتى كان من آخرهم هجرة

تقرب القلوب اليه ، فربط بينه وبين رجاله الأربع الأول
بالمصاهرة ، فتزوج بنتي الصديق والفاروق وزوج اثنتان من

من بنائه الى عثمان وواحدة الى علي .

أوتى الصبر ، قاحتل مسامة قريش طويلا ، ودعا الى الله

فلم يسلم له في ثلاث سنوات إلا أربعين رجلا

لم يعتمد في دعوته ولا في زعامته على الخوارق والظواهر

العينية فلما كسفت الشمس عند موت ابراهيم قال (إن الشمس

والقمر ايتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياة أحد)

عرف بالكياسة واللباقة : فلما اجديت أرض مكة تخير

الأرض الخصبة ويبحث عنها في الحبشة والطائف ثم استقر في

المدينة لما عرف من صلاحيتها

ومن كياسته أنه لم يقبل عند دخوله المدينة دعوة القبائل

والبيوت حتى لا تتميز إحداها بضيافته والسبق في دعواته اليها ،

فكانت كل قبيلة تناديه عليه السلام : يا رسول الله هلم الى القوة والمنعة

والثروة فيقول لهم خيرا فإذا قربوا دابته قال دعوها فإنها مأمورة

يقول رسول الله في أشد ساعات الحرج والله ليتمن الله

هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف

إلا الله والذئب على غنمه

يقول له عمر : قد أثر في جنبك هذا الحصير وفارس والروم

قد وسع عليهم وهم لا يعبدون الله فاستوى جالسا وقال إني
شك أنت يا ابن الخطاب : أولئك قوم قد عجلت لهم طيباتهم
في الحياة الدنيا .

عرف بالتواضع : دخل إليه الرجل يرتعش فرقا وخوفا فقال
له : هون عليك فإني لست بملك ، إنما أنا ابن امرأة من قريش
كانت تأكل القديد بمكة .

أوتى اشراق النفس والتفؤل وسرعة البسديه ، مر مع
أبي بكر وهما في الطريق إلى فتح مكة بكلبة تهر فلما دنوا منها
استلقت على ظهرها فإذا اثداؤها تشخب لينا فذكرها أبو بكر
فقال الرسول . ذهب كلهم وأقبل درهم ، هم سائلوكم بأرحامهم
وأنتم لا فون بعضهم ، فإن أقيم أبا سفيان فلا تقتلوه

جمع القلوب بأرضائها بعد أن بهرها بقوته : كذلك فعل
مع أبي سفيان إذ اشار على العباس أن يقف به إلى جوار الطريق
حتى يرى ركب فتح مكة ، ثم لما أسلم تحت تأثير أرهاص هذه
الحملة الجبارة ، جعل له الرسول ما يريد من الفخر ، وما يتناسب
مع مكانه في زعامة قريش وجعل داره في مكة كالمسجد من
دخلها أيها فهو آمن .

أوتى العفو : فعفا عن أهل مكة بعد أن قدر عليهم وأغضى عن اضطهادهم لأصحابه وله ثلاثة عشر عاما وعفا عن أهل الطائف بعد أن ردوه ردأ غير جميل ووهبهم ستة آلاف من سباياهم، وتألف قلوب العتاه الشداد من المنافقين بعد أن أسلموا فأبلغ هباتهم في حنين مبلغ ضخما أخرج صدور الانصار .

أوتى النفس اللامحة النفاذه إلى خبايا الأمور وفهم الاتباع : أرسل عبد الله بن جحش وقال لأتباعه في سرية ليس يخبركم وإسكنه أصبركم على الجوع والعطش

عرف لنفسه قدرة على أصحابه وعرف أصحابه قدرة عليهم ويقول في ذلك مامن مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة أقروا ان شئتم : النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فإيما مؤمن قد مات وترك ديننا فعلى . .

وعرف أصحابه قدره فأحبوه ، واسلموا أمرهم إليه مخلصين يقول أبا سفيان للرجل وهو يعذب : هل تحب أن تكون في

أهلك وإن يكون محمد مكانك ، قال والله لا أحب أن تشوك
رسول الله شوكه وهو في مكانه .

وتقول قريش لعثمان عندما احتجزته في الحديبية طف أنت
بالبيت أن اردت ، فيقول والله لا أطوف بالبيت قبل رسول
الله وقد بلغت ثقة الاتباع بالقائد حدا لا يبارى حتى قال أبا
سفيان : ما رأيت أحدا يحب أحداً كما يحب أصحاب محمد محمداً
وقد احتمل اتباع رسول الله العذاب والالام في صبر
واطمئنان ثقة بالله واتباعاً للقائد .

لم يتميز على أصحابه وشاركهم في أمرهم كله فبنى في المسجد
وحفر في الخندق ، وركب مرحلة في بدر ، وشارك أصحابه في
جمع الخطب ، فإذا قيل له قد نزلنا لك عن نصيبنا في ركوب
الدابة : قال ما أنتم بأقوى مني وما أنا بأقل حاجة إلى الاجر
منكم وإذا قيل له نكفيك العمل ، قال قد علمت أنكم تكفوني
ولكن أكره أن أتميز عليكم والله سبحانه وتعالى يكره من
عبده أن يتميز عن أصحابه .

أوتى من دراسة الطبائع وفهم نفسيات الناس قدراً كبيراً
وعامل كل صاحب من أصحابه على ضوء هذا الفهم الدقيق النافذ

دخل أبو بكر على رسول الله وهو مضجع وعليه ثوبه
 فقضى حاجته وخرج ، ودخل عمر فقضى حاجته وخرج ، ثم جاء
 على فقضى حاجته وخرج ، ثم جاء عثمان فجلس له رسول الله
 ﷺ : فقالت له عائشة لم تصنع هذا فقال أن عثمان رجل
 حي ، وإنى خشيت أن آذن له على تلك الحال إلا يبلغ إلى في حاجته
 قال له أبو ذر : يا رسول الله لا تستعملني : قال فضرب يده
 على قلبي ثم قال يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة ، وإنها يوم
 القيامة خزى وندامه إلا من أخذها ويحقها وادى الذى عليه فيها
 وهو القائل عن معاشر الأنبياء : أمرنا أن نزل الناس
 منازلهم وإن نخطبهم على قدر عقولهم ، وهو القائل الناس كابل
 مائه لا تجرد فيها راحلة .

ملئ قلبه بالرحمة والآن الله جانبه فاجتمعت إليه القلوب فبها
 رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لا نقصوا
 من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا
 عزمت فتوكل على الله ،

يقول بديل بن هاشم مبعوث فريش فى الحديبية إلى الرسول
 وأصحابه عند عودته إلى قريش : يا قوم : قد وفدت على كسرى

وهرقل والنجاشي ، واني والله ما رأيت ملكا اطوع فيمن هو بين
ظهرانيه من محمد في أصحابه. والله ما يسددون إليه النظر، وما يرفعون
عنده الصوت ، وما يكفيه إلا أن يشير الى امرئ فيفعل ،
وما توضع من وضوء إلا أزدحموا عليه أيهم يظفر منه بشيء ، وقد
حرزت القوم ، واعلموا انكم ان أردتم السيف بذلوه لكم ، وقد
رأيت قوما لا يباليون ما يصنع بهم إذا منعوا صاحبهم .
أوتى الشخصية العملية ، واستطاع تنفيذ أمره دون أن يلجأ
إلى اظهار السلطة .

وأوتى الجرأة ، فسفه أحلام قريش وطعن في أربابهم وليس
له من الحول والقوة شيئاً وناهض رأى عمه وليس معه إلا
قليل من الأنصار .

وعرض عليه الانتصار بالمشركين وهو في قلة وحاجة إلى
رجل واحد فأبى .

أوتى الذهن المرتب المحدد ، فكان يصنع لكل أمر حدودا
يقول : في الفارق بين الشجاعة وضبط النفس : ليس الشديد
بالصرعة ، ولكن الشديد من يملك نفسه وقت الغضب .

ويقول عن الرجل المستقل الرأي : والمعدوم الرأي :

لا يكون أحدكم إمعه ، يقول انا مع الناس ، ان احسن
الناس احسنت وان اساءوا اسأت ، ولكن وطنوا انفسكم ان
أحسن الناس ان تحسنوا وان اساءوا أن تجتنبوا اسائتهم

بلغ في حسن معاملته للناس حدا كبيرا ، دون أن يضحى
بشيء من مبادئه ومع التوجيه والاعداد ، يصبر للغريب على
الجفوة في منطقه ومسالته .

يسوى بين الناس في النظر والاستماع . جمع له الحلم والصبر
إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا حتى يفهم عنه ، وإذا أتى قوم
فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثا .

قال بعض الوفود ، انت سيدنا وذا الطول علينا . قال :
السيد الله قولوا قواكم ولا يستجرنكم الشيطان .

وقد بلغ في تألفه للأصحاب والاتباع : انه ما جلس اليه أحد
إلا ظن أنه أقرب الناس إلى نفسه .

يقول إذا اذاع أمرا ، لتبلغ الشاهد الغائب ، ويوصى بأن
تحمّل اليه أمر من لا يستطيع رفع حاجته . فيقول : ابلاغوني حاجة
من لا يستطيع ابلاغ حاجته فإنه من أبلاغ سلطانا حاجة من
لا يستطيع ابلاغها اياه ثبت الله قدمه يوم القيامة .

أوتى الكياسة السياسية ، والبراعة الحربية

يقول النعيم بن مسعود عند ما جاءه مسلماً في ، الاحزاب ، عبارة قصيرة فيها كل كياسة السياسى وبلاغة الزعيم ، خمدل عنا ما استطعت ،

يقف قبيل بدر ، فلا يبرحها حتى يستشير الناس ويقصد الانصار وهو يعلم أنهم يايعوا في حدود مدينتهم العذراء ، والموقف يخرج عن حدود بيعة ، والعقبة ، وتلك كياسة سياسية ، قيل أن تكون براعة حربية .

ومن كياسته السياسية أنه لما وزع الغنائم في حنين على المهاجرين دون الانصار ، قال الانصار ، قد عرف النبي أهله وقومه فجمعهم في الحظيرة وصفي نفوسهم حتى استدمعوا وثابوا وعرفوا انه انما تألف بها قلوب ووكل الانصار إلى إيمانهم

من براعته السياسية أنه أبقى على (ابن أبي) فلم يقبل رأى عمر في قتله حتى انكشف أمره للناس فكان قومه أول من أخذه بالعنف إذا أحدث أمراً حتى قال الرسول لعمر يوماً : كيف ترى يا عمر : أما والله لو قتلته يوم قلت لى أقتله لارعدت له أنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتله قال عمر ، قد والله علمت أن أمر رسول الله أعظم بركة من أمرى . أوتى سعه الأفق : صلى على عبد الله ابن أبي وأعطاه قميصه ولما اعترضه عمر قال : أخر عني يا عمر : لو

أعلم اني لو استغفرت لهم أكثر من سبعين مرة غفر لهم
لاستغفرت لهم .

حرص على مظهر القوة لأصحابه ودعوته ، عند ما جاء مكة
في عمرة القضاء اضطجع صلى الله عليه وسلم بردائه وأخرج عضده اليمنى ثم قال
رحم الله أمراً أراهم اليوم من نفسه قوة ليكون ذلك رداً عملياً
على قالة قريش بأن حمى يثرب قد انهكتهم

عامل الناس على مكانهم من دعوته . جاءه المخلفون من
المنافقين فجعلوا يعتذرون اليه ويخلفون له فقبل منهم علانيتهم
وإيمانهم ووكّل سرائرهم إلى الله ولم يقبل من المؤمنين عذرهم ،
وأمر بمقاطعتهم وأن ينفصلوا عن زوجاتهم حتى ينزل فهم أمر الله
عرف بالحكمة والتدرج في التربية : أن أناساً من الأنصار
سألوا رسول الله فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم
حتى نفذ ما عنده . فقال . ما يكون عندي من خير فلن أدخره
عنكم ، ومن يستعفف بعفة الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن
يتصبر يصبره الله ، وما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر
حرص على أقرار الحقائق وبحو الشبهات . عن صفية أنها
جاءت الرسول تزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر
فتحدثت عنده ساعة ثم قامت تتقلب فقام النبي يقلبها حتى إذا
بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة مر رجلاً من الأنصار فسلمها

على رسول فقال لها النبي على رسلكما ، إنما هي صفيّة بنت حبشي
فقالا سبحان الله يا رسول الله وكبر عليهما ، فقال النبي : ان
الشيطان يبلغ من الانسان مبلغ الدم ، واني خشيت ان يقذف
في قلوبكما شيئا .

حرصه على العهد والوفاء به : يقول لا بو جندل بن سهيل
وقد جاءه بعد صلح الحديبية : اتنا قد اعطينا القوم عهدا فاصبر
حتى يجعل الله لك مخرجا ويقول لأصحابه في خروجهم للغزو :
إذا اعطيتم فلا تعطوا ذمة الله وذمة رسوله واسكن أعطوا ذمتكم
وذمة أصحابكم وإذا حاصرت أهل حصن فارادوك أن تجعل
لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه . ولكن
اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك فانكم ان تخفروا ذمتكم أهون من
ان تخفروا ذمة الله ورسوله ،

ومن حكمته وسياسته أن يرد كل حق إلى صاحبه فيألف
بذلك القلوب ويكون ذلك أكثر سدادا وأحسن توجيهها للأمر .
نادى عثمان بن طلحة يوم فتح مكة واعطاه مفتاح الكعبة وقال
يا عثمان : اليوم يوم بر ووفاء .

ومن سياسته المعتمدة على الفهم النفساني العميق : انه أطلق
الهدى في وجه سفير قريش اليه في الحديبية فتأثر الرجل من منظر
الهدى وقد تأكلت أوباره ورجع إلى قريش دون أن يلقى رسول الله

حكيمته في تلقى الانبياء وتصديقها بصورها في موقفه من
زيد بن ارقم حين حدثه بحديث ابن أبي وقد أخذ الرسول يحاوره
في أدب جم ، يدفع فيه الاتهام ما استطاع عن (ابن أبي) فيقول له
يا غلام لعلك غضبت عليه ، لعله أخطأ سمعك لعله شبه عليك وزيد يؤكد
الخبر والسمع .

نفاذ بصيرته من حاضر الأمور إلى مستقبلها بالفراسة والتقدير :
أراد عمر أن يمثل بسهيل بن عمرو فيخلع ثنيته فعارضه الرسول
وقال لا أمثل به و لو كنت نبيا وعسى أن يقوم مقام ما لا تدمه ، وقد
أسلم سهيل من بعد وقام في أهل مكة أبان فتنة الردة موقفا كريما .
عرف بمداواة الناس بالحكمة والاتقاء ، عن عائشة قالت :
أستأذن رجل على رسول الله فقال بذس أخ العشيرة ، ثم أذن له
قالت عائشة فلم انشب ان سمعت ضحك النبي معه فلما خرج قلت
يا رسول الله قلت ما قلت ، ثم لم تنشب ان ضحككت معه فقال
رسول الله ان شر الناس من اتقاء الناس لشره . وهي سياسة
نفاذه قد لا ترضى بعض القاصرين في فهم الأمور والعاجزين عن
النفاذ إلى أعماقها والدربة على سياسة الناس .

العدل بين الناس ، حسب قدومهم اليه . جاءه أنصاري يسأله
وجاءه رجل من ثقيف يسأله . فقال يا أخا ثقيف أن أنصاريا

قد سبقك بالمسألة فاجلس كما نبدأ بحاجة الانصارى قبل حاجتك، يقضى بين الناس ويقول امرت أن أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر وتلك امرى من أعظم صفات القيادة التى تعتمد على الشئائل الإنسانية والتقدير الشخصى للأمور على ظاهرها وبالنظر الى حيثياتها ومسبباتها ولذلك يقول ﷺ محذرا وموجها: أنكم تختصمون الى واعد بعضكم ألحن بحجته من بعض فمن قضيت له بحق أخيه شيئا فأنما أقطع له قطعة من النار فلا يأخذها

ويصف سياسة الاستعباد التى تفرق بين مجرم ومجرم، وبين مذنب ومذنب فيقول . انما أهلك من كان قبلكم انه كان اذا أجرم العظيم تركوه ، وإذا أجرم الضعيف أقاموا عليه الحد وفى رواية اذا سرق الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وهو الذى يضع أمور القضاء فى نصابها فلا يقبل فيها شفاعاة ولا مساومة ولا دية فيقول لأسامة : ويحك يا أسامة أتشفع فى فى حدمن حدود الله ، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها .

وعند ما أرسل معاذا الى اليمن قال له يسر ولا تعسر ، بشر ولا تنفر واذا جلس اليك الخصمان فلا تفضى بينهما حتى تسمع من الآخر هذه بعض لمحات من مظاهر القيادة ، وعوامل الزعامة ، فى شخصية الرسول . تدل على أن صفة الزعامة والقيادة يكملها

وقوتها واتساع افقها وجدت كاملة في رسول الله ﷺ وهي
(زعامة) انسانية أكثر منها زعامة وحى ، فيها طبائع الانسان
الممتاز العبقري ، الذي يقدر الأمور بالعقل ويصرفها بالعاطفة
ويزنها جميعا دون تفريط أو إفراط .

هذه صفات الزعامة والقيادة كما كان عليها رسول الله ﷺ
وقد أجمعنا هنا لنفضلها في مكانها من هذه الدراسة وهي
« مسجايا » ثابتة في الدعوة الإسلامية لا تتغير فأيما وجدت في داعية
إسلامي فإنما هو مهتد بهدي رسول الله ، سائر على نهجه ، عامل
على سنته على تفاوت في الظروف والهيئة والأحوال ، وإينما
افتقدتها فهو ادعاء وليست دعوة بل غش وخداع
تلك هي علامات الداعية الصادق السائر في طريق محمد
والناهل من فيض علمه وتوجيهه ، المقتني لسنة ومنهاجه .
هي علامات أول سطر فيها هو البذل والعطاء والتضحية
والفداء والأذى في الله والخوف من الله ، وخشية الله وحده
لا ترهبه صولة ولا ترده عن « دعوته » قوة بالغة ما بلغت من
الظلم والاضطهاد والاعتات .

صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا

